الصلاة ومكانتها في الإسلام

تلخيص(*) : الأخ أبو جهاد

لقد ضيّع المسلمون الصلاة -للأسف- رغم عظيم قدرها وفضلها ، إلاّ قليلاً منهم .

ولما كانت الصلاة ذات أثر كبير في حياة الفرد والمجتمع وتتصل بسائر معاني الدين وتعاليمه ، فإن إضاعتها كانت سبباً في كثير من مظاهر (الضياع) لدى المسلمين

إنّ الصلاة عبادة تحقق دوام ذكر الله ، وتمثّل تمام طاعته والتجرّد إليه وحده لا شريك له

﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات : ٥٦]

الصلاة في الرسالات السماوية

لهذا كانت جميع الرسالات السماوية قبل بعثة محمد ﷺ تحثّ أول ما تحثّ على الصلاة .. فهــذا إبــراهيم عليه السلام يدعو الله ويرجوه أن يعينه على إقامة الصلاة ، ويختتم دعاءه الخاشع بأن يتقبله منه :

﴿ **رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ** ﴾ [إبراهيم : ٤٠]

وهذا ابنه إسماعيل عليهما السلام يأخذ بسنة أبيه ويوصي بها أهله :

﴿ **وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا** ﴾ [مريم : ٥٥]

وكذلك موسى عليه السلام كان أول ما أمر به عبادة الله وإقامة الصلاة :

﴿ **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي** ﴾ [طه : ١٤]

وكان قوم شعيب عليه السلام يجعلون الصلاة علّة لما ينصحهم به رسولهم ،

﴿ **قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا** ... ﴾ [هود : ٨٧]

ولقد كانت الصلاة من أول ما وعظ به لقمان ابنه : ﴿ **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ** ... ﴾ [لقمان : ١٧]

كما كان أمر الله تعالى لمريم التي اصطفاها على نساء العالمين قبل أن يبشرها بالمسيح عليه السلام

﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٣]

وأتى عيسى عليه السلام يعلن أن الله تعالى اختصّه بالكتاب والنبوة وأوصاه بالصلاة :

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم : ٣٠-٣١]

لقد كانت الصلاة إذن من الشعائر الثابتة الخالدة في الأديان والرسالات السماوية على مر العصور ..

فرض الصلاة على المسلمين

كان أوّل ما أنزل على النبي ﷺ بعد أوائل سورة العلق أمر الله تعالى له بالاستعداد لما سيلقى عليه من مهام كبيرة .. وإنما كان الاستعداد بوسائله الربّانية ، يقول تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ۞ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۞ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ۞ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ [المزمل : ١-٥]

لقد كانت الصلاة مع تلاوة القرآن الكريم عدّة الرسول ﷺ في حمل أعباء الدعوة والصبر عليها .. تلك التي وصفها الله عزَّ وجلَّ في قوله : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ [المزمل : ٥]

كما كانت الصلاة أول واجبات الإسلام التي أمر بها النبي ﷺ ، فرُويَ في السيرة المطهرة أن جبريل عليه السلام قام بتعليم النبي ﷺ كيفية الوضوء والصلاة في أول عهد البعثة ، ثم علمها ﷺ زوجه خديجة والصحابة الذين سبقوا للإيمان رضوان الله تعالى عليهم .. فكان الرسول ﷺ وصحابته يذهبون إلى شعاب مكة يؤدون صلاتهم فيها حتى جهر الرسول ﷺ بالدعوة ، ثم أنعم الله عزَّ وجلَّ على رسوله ﷺ بالمعراج إلى السماء وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس ، من أدّاهن كان له أجر خمسين صلاة مكتوبة ، ونقرأ في سورة الإسراء قوله ﷻ :

﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۞ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٨-٧٩]

مكانة الصلاة

وكان تأكيد القرآن الكريم والحديث الشريف على الصلاة -بعد الإيمان والتوحيد- لا يكاد يعادله تأكيد على أي أمر آخر في الإسلام ، يقول تعالى :

﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيــهِ وَلا خِلالٌ ﴾ [إبراهيم : ٣١]

وسئل الرسول ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله فقال :

« ... عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ فَإِنَّكَ لاَ تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً » رواه البخاري ومسلم

وورد في كثير من آيات القرآن الكريم أن الصلاة هي الصفة الأساسية للمؤمنين الذين لهم الخير والسعادة في الحياة الدنيا والمكتوب لهم الفوز والنجاة والرضوان في الآخرة ، وغير هذا مما يشاء الله تعالى في الدارين ، مما لا يعلمــه إلاّ هو ، قال تعالى في سورة المؤمنون :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١-٢]

وقال أيضا :

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ۞ تَتَجَــافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [السجدة : ١٥-١٦]

وبشر الله هؤلاء المؤمنين بالثواب والأجر الكريم في الدنيا والآخرة

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۞ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴾ [المعارج : ٣٤-٣٥]

وكما كان لهم الثواب كان لتاركي الصلاة العقاب الشديد :

﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۞ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ [المدثر : ٤٢-٤٣]

وقال ﷺ :

« ... إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاَتُهُ فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ ... » رواه الترمذي

وقال أيضا : « خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَــلاَتَهُنَّ لِــوَقْتِهِنَّ فَــأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْــدٌ ، إِنْ

شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ » رواه أحمد

والصلاة هي الركن الثاني في الإسلام بعد الشهادتين ، وشرط أساسي لانتماء المسلم إلى أمة الإسلام ، قال الــنبي ﷺ :

« **بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَحَجِّ الْبَيْت** » رواه الشيخان

وقال ﷺ :

« **مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكُمُ الْمُسْلِمُ** » رواه النسائي

والصلاة هي التي تفرق بين أهل الجاهلية وأهل الإسلام ، ولا أمان للمشركين حتى يسلموا ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، والله تعالى يقول :

﴿ **فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُــلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [التوبة : ٥]

وقال رسول الله ﷺ :

« **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ** » رواه الشيخان

وجعل الرسول ﷺ الفارق بين الإسلام والكفر في أحاديث عديدة ترك الصلاة ، فقال :

« **بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ** » رواه مسلم

وقال : « **بَيْنَ الْكُفْرِ وَالإِيمَانِ تَرْكُ الصَّلاَةِ** » رواه الترمذي

وقال : « **بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ أَوْ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ** » رواه أبو داود والترمذي

ولما كان للصلاة هذه المكانة العظيمة في الإسلام كان على المسلمين أن يقدموها علــى ســائر أعمــالهم علــى الإطلاق ، لا سيما تلك الأعمال الدنيوية بما فيها من ساعات اللهو والارتزاق وغير هذا .. يقول عزَّ وجلّ :

﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُــوبُ وَالأَبْصَارُ ۞ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِــسَابٍ ﴾ [النــور : ٣٧-٣٨]

التجرد لله والخشوع في الصلاة

إنّ الصلاة وهي عبادة لله وذكر له .. لا بد أن يخصص لها المسلم فترات من يومه ، ينخلع بقلبه مــن شــواغل المعاش وجواذب الدنيا ، ليخلو إلى ربه ويتجرد لذكره ، ويملأ قلبه وصدره بتذوق طعم الاتصال به .. قال تعالى :

﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود : ١١٤]

وقال عزَّ وجلّ :

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨]

والصلاة مرات متوالية في اليوم إشاعة لذكر الله على طول اليوم وتثبيت للصلة به ، لتكون أعمال المسلم دائمــاً على نية خالصة يبتغي بها وجه الله تعالى ، كما علّمنا الله تعالى القائل :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢]

وإن التجرد الكامل لله بكل خالجة في القلب وكل جارحة في الجسم ، بالصلاة وخارجها .. إنما هو نتيجة الإيمان الحقيقي الخالص بالله ﷻ ، ولذلك فإن الله تعالى يؤكد على أداء الصلاة مهما كان حال المسلم ، فيقول نبيه ﷺ :

« **صَلِّ قَائِمًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ ، أَوْ فَأَوْمِ** » -أي بالإشارة- رواه البخاري والنسائي .

بل و لم تسقط الصلاة حتى في الأوقات العصيبة أثناء القتال ، لحاجة المجاهد الماسّة إلى الصلة الدائمة بربّه ، تكمل عدته وسلاحه فيما هو مقدم عليه ، قال تعالى :

﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُــونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِــنْ مَطَــرٍ أَوْ كُنْــتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [النساء : ١٠٢]

بل إنّ الصلاة الحقيقية هي التي يلجأ إليها المسلم في الشدائد والملمات ، والله تعالى يقول :

﴿ ... **اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة : ١٥٣]

وفي الصلاة نفسها ما يساعد على التجرد لله فيها ، فأول شروطها التوجه إلى القبلة ثم عدم الانصراف عنـــها ، والتيمم صوب القبلة إنما يكون بالقلب والظاهر معاً ، وليس بالظاهر مع شرود الذهن وطواف الخاطر بمشاغل الحياة وهمومها ، فذاك في حكم المنصرف عن الله الذي أمر عبده أن يستقبله ذاكراً واعياً فقال :

﴿ ... **وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي** ﴾ [طه : ١٤]

وسئل الرسول ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال :

« ... **هُوَ اخْتِلاَسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلاَةِ الْعَبْدِ** » رواه البخاري

وقال عليه الصلاة والسلام :

« **لاَ يَزَالُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُقْبِلاً عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ فِي صَلاَتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ فَإِذَا الْتَفَتَ انْصَرَفَ عَنْهُ** » رواه أبـــو داود

وأكد الرسول ﷺ على تجرد العبد عن كل ما قد يلهيه أو يفتنه أو يصرفه عن صلاته أو يجعله غير واع لها ، وقال:

« **إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لاَ يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ** » رواه البخاري

وعندما يقبل المسلم على الصلاة متجرداً لله عزَّ وجلَّ يتذوق معنى الخشوع ، ويكون من أولئك الذين يستشعرون في قلوبهم رهبة الموقف بين يدي الله عزَّ وجلَّ فتسكن قلوبهم لجلاله وتختفي من أذهانهم الشواغل عنه ، ويأخـــذ الله بأيدي هؤلاء إليه فيعينهم في الطريق ، وهو القائل في الحديث القدسي :

« **أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي ، وَاللَّهِ لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلاَةِ . وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْـــتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِل** » متفق عليه .

من آثار الصلاة وعواقب تركها

طالما أن الصلاة تذكّر بالله غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب فهي التي تنمّي إيمان المؤمن بالغيـــب وتزيـــد خشيته لله فيتقي عذابه بالتواضع له واجتناب نواهيه ، قال تعالى :

﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ۞ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْـــهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة : ٤٥-٤٦]

وانظر إلى الفارق الكبير بين من أقام الصلاة وجزائه .. وبين من أضاعها وعقوبته في قول الله عزَّ وجلّ :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْـــرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۞ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْـــفٌ أَضَـــاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم : ٥٨-٥٩]

وهذه الإضاعة للصلاة والغفلة عن الله ولقائه تنسي المرء معاني الخوف منه وتقواه ، فلا يأتمر بأوامره ولا ينتـــهي بنواهيه في جوانب الحياة الأخرى ، وذاك هو السر في ضياع المسلمين بضياع صلاتهم . ولقد وصف الله تعالى الذين لا يقومون إلى الصلاة إلاّ بصعوبة وكسل بالنفاق فقال عزَّ وجلّ :

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء : ١٤٢]

ومقابل هذا .. نرى الصورة الأخرى للعبد يقوم إلى صلاته بكليته ويتجرد لمقابلة ربه من سائر هموم الدنيا ، بـــل ذاك رسول الله ﷺ : إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وقال : « **يَا بِلاَلُ أَقِمْ الصَّلاَةَ أَرِحْنَا بِهَا** » رواه أبو داود ، وذاك عمر بن الخطاب ﷺ ، ما كان في الوجود أهم من الصلاة لديه ، حتى إذا أراد الصحابة إيقاظه من غيبوبته بعد طعنة أبي لؤلؤة له في ظهره لم يجدوا أجدى سبيلاً من أن ينادوا في أذنه (الصلاة الصلاة) ، وذاك بلال بن ربـــاح يـــسأله الرسول ﷺ عن أحب الأعمال التي أداها في اعتقاده وقد سمع رسول الله ﷺ صوت خفّ نعليه في الجنة ، فيقول بلال إنه ما كان يتوضأ وضوءاً ليؤذن إلاّ صلى ركعتين لله تعالى مقبلاً فيهما على ربه ، وذاك علي بن أبي طالـــب ﷺ إذا حان وقت الصلاة بدا الاهتمام والاصفرار على وجهه وسرت الرعدة في جسده فيستفسر بعض الصحابة منه عمّـــا يصيبه فيقول : (ألا تعلمون بين يدي من سأقف بعد قليل) ، وغيرهم وغيرهم من رهبان الليـــل فرســـان النـــهار ، يتزودون من زاد الصلة بالله الذي لا ينضب ليضربوا في الدنيا إذا ضربوا بقوة الله ، ويتحركوا إذا تحركوا بنـــور الله ، لا يشق عليهم جهاد ولا يبالون بعد ذلك بما يلاقونه من عناء ..

وكما أنهم يحافظون على الصلاة على وقتها كما علمهم الرسول ﷺ فإنهم يحافظون أيضاً على صـــلاة الجماعـــة التي حذرهم من تركها فقال :

« **مَا مِنْ ثَلاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلاَ بَدْوٍ لاَ تُقَامُ فِيهِمْ الصَّلاَةُ إِلاَّ قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ** » رواه أبو داود

وكيف لا يقبلون على صلاة الجماعة وكلام رسول الله ﷺ في آذانهم :

« **صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاَةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً** » رواه الشيخان

« **لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِين** » رواه مسلم

وإذا كان هذا هو الحال مع صلاة الجماعة فكيف هو مع صلاة الجمعة وهي الفرض الثابت الذي لا يعوّض عن الثواب الضائع بتركه ثواب صلاة الدهر كله نفلاً ، والذي يقول بعض الفقهاء بنفاق من يتركه ثلاث مرات متواليات دون عذر شرعي .

لقد أضاع المسلمون الصلاة .. ومن أدّاها فقد أضاع -إلاّ القليل- معناها الحقيقي ومتطلباتها

وإذا عاد المسلمون إلى أداء هذه الفريضة حق الأداء وأقبلوا فيها على الله حق الإقبال ، وتجردوا لعبادته فيها حق التجرد ، وعوّدوا أنفسهم على خشوعها ، وأتّموا ركوعها وسجودها .. فسوف تتغير أحوالهم في كثير من المجالات وتنقلب أوضاعهم المخلخلة اليوم في كثير من الجوانب .. فإنما أمر الله تعالى أمة الإسلام بالصلاة التي تقوّي صلتهم به فتقوم حياتهم على قاعدة ثابتة وتسير على طريق واصل لخيري الدنيا والآخرة ، والله تعالى يقول في كتابه العزيز :

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ** ﴾ [الحج : ٧٧- ٧٨]

(*) عن كتاب (الصلاة عماد الدين)